وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

استلهام الحضارة الإسلامية للقرآن الكريم وهداياته في تعزيز القواسم المشتركة بين الأمم والثقافات

اسم الباحث/ـة

د/ محمد أحمد عبد المطلب عزب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله عليه، أما بعد:

فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حفظه الله للعالمين آية صادقة ونموذجًا حيًا على طول الدهر، ظلَّ كتاب الله مصدرًا ملهمًا لبناة الحضارة في ربوع العالم الإسلامي، ولذا كانت حضارة الإسلام لها سمات لا تختلف من بلد لبلد.

بقي القرآن وحده للمسلمين قانونًا لكل معاملة، ومخرجًا من كل عثرة، وعاصمًا من كل فتنة، والحصن الحصين في وجه كل بأس، فالمبدأ والمنتهى هو كتاب الله تعالى.

مع اتساع رقعة الدعوة وانتشارها في الآفاق، وتكاثر العناصر البشرية في المجتمعات المسلمة، حيث عزَّ أن يوجد مجتمع دون أخلاط من الثقافات والديانات، فقد ولَّد ذلك الحاجة الملحة للبحث عن المشترك الأخلاقي في مقابل الصراع، فالمشترك الأخلاقي يمثل نموذجًا داعيًا للتوحد، وإطارًا عامًّا للتلاقي، وهدفًا ساميًا تسعى إليه الحضارات التي تتغَّيا الحق وتسلك سبيله.

لم يخجل بعض المفكرين الغربيين من الحديث صراحة عن صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، وهذا الحديث مثَّل صدعًا بشريًا خطيرًا، وصوَّر البشرية وكأنها على حافة الانمحاء لحساب فريق واحد منها

وعلى جانب آخر جاءت الفلسفات الحديثة تحاول جاهدة أن تضع إطارًا عامًّا للفضيلة، وتتخيَّل شكلًا عامًّا للمدينة الفاضلة، لكنها استطاعت أن تصنع ذلك تنظيرا عسر على التطبيق، فمنذ أن ألف توماس مور اليوتبيا أو المدينة الفاضلة، وألَّف أفلاطون الجمهورية لم نر أثرا لهذه المثاليات تنغرس في أمة أو تعيش زمنا في مجتمع، فما رأينا جمهورية أفلاطون تتحقق، ولا اليوتيبا المزعومة توجد أو تولد. بل الخلاف والتباين سنة ماضية في الخلق، والمجتمع المثالي يوجد في الأذهان لا في الواقع المعاش.

ومنذ بدأ نزول القرآن بعد آخر الرسالات التي كانت قبل الإسلام- بدأ التحول التاريخي في المجتمع الناشئ، وتحول الذين كانت تقوم الحروب بينهم على سقط المتاع صاروا بالقرآن سادة ينامون الليل جياعا ليطعموا القانع والمعتر فظهرت أخلاق الإيثار، وأخلاق المروءة وتعززت قيمة الكرم، ونمت بين المجتمع أخلاق الفرسان التي تجعل المرأة في مكانها الصحيح، وعاشت الأخلاط التي استقامت سيرتها بين المسلمين بلا أدنى حرج، فقد رعى المسلمون الآخر وفق تعاليم القرآن، التي امتدحت الخير في أهله وذمت الشر مهما كان فاعله.

ولقد كان مدار العظمة التي صنعت هذ الأمة هو القرآن الكريم كتاب الله الخالد، الذي أقام العدل، وأسس لقواعد التعايش، وأوجد القواسم المشتركة بين الناس، وجعل التعارف والتعايش هو الأصل، وجعل التفاضل بالتقوى وعمل الصالحات، من هنا يجب أن نشير لأهمية البحث:

أهمية البحث:

إن رصد أثر الهدايات القرآنية في التأسيس للقواسم المشتركة بين الأمم، والعيش المشترك، وبذل الخير للناس أيا كانت ثقافتهم أو ديانتهم، وإلغاء صراع الثقافات والحضارات في مقابل التعايش والتضامن لمن الأهمية بمكان، حيث نمت ظاهرة التخويف من الإسلام والإزراء بتعاليمه؛ فلذا كان التماس هدايات القرآن والشريعة عموما في هذا الجانب من الأهمية بمكان.

منهج الدراسة:

تسلك هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، ترصد من خلاله جوانب التعايش، وتصوغ من خلال تحليل المواقف والممارسات استلهام الهدايات القرآنية في صناعة التعايش وتعزيز التعاون بين الأمم.

مشكلة البحث:

إن البشرية لما انشغلت بتعزيز ما يفرقها وخلق ما يمزع أوصالها نتج عن ذلك حروب فكرية وحروب عسكرية شوهت معالم الأرض، وتركت عددا كبيرا

من القتلى والجرحى في كل جيل، وصدق فيها وعد الشيطان: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٧]، فانشغلت البشرية بصناعة القتل عوضًا عن صناعة العيش، وانشغلت بالكيد عوضًا عن الانشغال بالتعاون والتلاقي، فكان البحث مبرزا قيمة التعايش التي أوجدها القرآن تنظيرا وتطبيقا، حتى عاشت الحضارات زمنا أكبر في التاريخ وأقل في الحروب، وتمتعت الأقليات وأصحاب الديانات داخل المجتمع الإسلامي الملتزم أفراده بهدايات القرآن بالحرية التامة، والولاء للدولة التي تقوم على رعايتهم

أسئلة البحث:

تتبلور أسئلة البحث إجمالاً في الأسئلة التالية:

١. هل وجدت الأخلاق بين الأمم الغابرة، وأرباب الديانات السماوية

٢. ما منزلة الأخلاق في الإسلام؟

٣. كيف استلهمت الحضارة الإسلامية هدايات القرآن في تناول الآخر مجادلة ومعاملة.

٤. كيف استلهمت الحضارة الإسلامية هدايات القرآن في بناء القواسم الاجتماعية المشتركة.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إذا لتبديد الصورة التي عززتها بعض الجهات التي تقيد للإسلام فمن خلال ما يعرف بالإسلاموفوبيا، وذلك بالجواب على أسئلته **كما يلي:**

١. التنبيه بالأخلاق بين الأمم الغابرة، وأرباب الديانات السماوية.

٢. التعرف على منزلة الأخلاق في الإسلام

٣. توضيح استلهام الحضارة الإسلامية لهدايات القرآن في تناول الآخر مجادلة ومعاملة.

٤. تفسير استلهام الحضارة الإسلامية لهدايات القرآن في بناء القواسم الاجتماعية المشتركة.

مصطلحات البحث:

القرآن – التعايش – الأمم – الثقافات – الحضارة

هيكل الدراسة: تأتي هذه الدراسة وفق الهيكلية التالية:

المبحث الأول: الأخلاق قيمة سامية ومشترك أخلاقي.

المبحث الثاني: الأخلاق عند الأمم الغابرة.

المبحث الثالث: الأخلاق عند أرباب الديانات السماوية.

المبحث الرابع: الأخلاق في الإسلام.

المبحث الخامس: استلهام الحضارة الإسلامية لهدايات القرآن في تناول الآخر مجادلة ومعاملة.

المبحث السادس: استلهام الحضارة الإسلامية لهدايات القرآن في بناء القواسم الاجتماعية المشتركة.

المبحث السابع: الأخلاق المشتركة التي عززها الإسلام.

المبحث الثامن: القضاء والتقاضي كأحد معززات الأخلاق المشتركة في الإسلام.

المبحث التاسع: استلهام الهدايات القرآنية في معاملة الآخرين على الأساس المشترك.

المبحث العاشر: استلهام الأمة لهدايات القرآن في صناعة التأليف والكتابة لتعزيز القواسم المشتركة.

المبحث الحادي عشر: مبدأ الحفاظ على الهوية ودوره في الحفاظ على كمال الفكرة الإسلامية

نتائج البحث.

توصيات البحث.

المبحث الأول: الأخلاق قيمة سامية ومشترك أخلاقي:

تعد الأخلاق أحد مرتكزات التعايش بين الناس، وعنصر من أهم وسائل نزع العداوة أو الوصول إليها، فالأخلاق تمثل كابحا لكل نزوات الشر، وتعد سوراً حائلاً لنزوات الإنسان وانجرافه نحو العداء.

وإذا كان مما قيل: إنه لم توجد أمة عاشت بغير دين – حتى ولوكان ديناً محرفاً– فإنه يمكن القول أيضاً: إنه لا توجد أمة استطاعت أن تكابد الحياة وتصمد أمام تياراتها وهي منزوعة الأخلاق، فالأخلاق عصب رئيس لكل حضارة، وركن ركين بين كل جماعات مختلفة أمكنها أن تتعايش.

أصبح من نافلة القول الإشارة إلى حاجة الإنسان لأخيه الإنسان، وهوما عبَّر عن الباحثين في الأخلاق والعمران بقولهم: (الإنسان مدني بالطبع)[1]، وهم يعنون بذلك حاجة الإنسان لغيره من الناس، فرغم تهافت الناس على متاع الدنيا والاتساع في الأرض، فإن إنسانا ما – لم يدر بخلده أن تفرغ له الدنيا من حوله يتمتع بكل ما فيها؛ إذا لاستوى عنده وقتها الذهب والحجر.

ولذا قالوا: (هو محتاج إلى مدينة فيها خلق كثير، لتتم له السعادة الإنسانية، فكل بالطبع وبالضرورة يحتاج إلى غيره، فهو لذلك مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة، ومحبتهم المحبة الصادقة لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضا يفعل بهم مثل ذلك)[2].

يتناول ابن القيم قيمة الخلق فيقول: (الدين كله خلق. فمن زاد عليك في الخلق: زاد عليك في الدين)[3]

وقال القشيري: (الخلق الحسن أفضل مناقب العبد، وبه يظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخلقه مشهود بخلقه)[4].

يعني أن خلق الإنسان هوما يبرزه ويجعله في الناس فاضلاً.

---

(١) تهذيب الأخلاق ص ٣٨.

(٢) السابق نفس الموضع.

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٩٤)

(٤) الرسالة القشيرية (٢/٣٩٧)

ونقل عن بعضهم قوله: إن الله تعالى لم يثن بشيء من خصال رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أثنى عليه بخلقه.

إن الأخلاق في بعض تجلياتها ضرورة فطرية في الناس، يميلون إلى صاحبها ميل الفراش يرى الضوء، ولا توجد أمة نفرَّت من الأخلاق أو حذَّرت منها، بل إن بعض الاتجاهات ترى الأخلاق ضرورة عقلية، لا غناء للعقلاء عنها، وما أمر التحسين والتقبيح عند المعتزلة[١] ببعيد من هذا.

تتوزع جوانب الأخلاق في الفكر الإسلامي على مناحي العلم فيه، وكما يقول عبد الله دراز: (علماء الكلام، وعلماء الأصول، فكروا جميعًا في مقياس الخير والشر، أو بحسب تعبيرهم: مسألة الحسن والقبح"، وفكَّر الفقهاء في شروط المسئولية، وفكَّر الأخلاقيون والصوفية في فاعلية الجهد، وإخلاص النية والقصد[٢].

إذا فكرة المسئولية الخلقية وضرورتها ضمن العلوم الإنسانية الشرعية لم تغب عن مؤلفي العلوم باختلاف أهدافها، وكل اتخذ لعلمه المصطلح الذي يخصُّه، ولكن في النهاية رأي الجميع ضرورتها.

ينتقد زكريا إبراهيم ركون بعض علماء الأخلاق للنظر لدور الدولة في ترسيخ قضايا الأخلاق، ويلحظ تناقصا كبيرا في جانب التأليف على حساب التأليف السياسي والاقتصادي، ويرى: أن الخيط الفاصل بين السلوك الخاص والسلوك العام خيط رفيع لا يمكن للدولة أن تقوم به، بل هو مسؤولية المعنيين بالفكرة الأخلاقية، إذا يرى أن خير تشريع قانوني هو الذي يتدخل بأقل قدر في حياة الأفراد[٣]، فكأنه يرى أن التنظيم الأخلاقي للأفراد يجب أن ينبع منهم، ويخرج

(١)المغني، للقاضي عبد الجبار، ١٤/١٤٣، و١٦/٢٦٥.
(٢)دستور الأخلاق في القرآن (ص: ٥)
(٣)المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، د-ت، ص ٣٩.

من مشكاة الضبط الأخلاقي الذي يعتني بترسيخه علماء الأخلاق، فتكون الأخلاق هي الكابح، وليس القانون الرادع.

لعل المشترك الأخلاقي وحده هو الكفيل بتجميع العناصر البشرية مهما اختلفت أعراقها، وتباينت لغاتها، وتنافرت طباعها، هذا إذا اختلفت أديانها أولم يوجد بينها دين حق يوحد الاختلافات ويقضي على الشقاقات.

المبحث الثاني: الأخلاق عند الأمم الغابرة:

لا توجد أمة لم تقدر الأخلاق قدرها المستحق، ولم ترها قيمة سامية ينبغي أن تصل إليها.

ولا يعكر على هذا الادعاء مروق بعض الجماعات البشرية نحو الانحلال القيمي والتفلت الأخلاقي.

وشاهد ذاك نراه في الآثار القديمة للأمم البائدة في سائر الأنحاء في الصين والهند والعراق وبلاد الشام ومصر والجزيرة العربية وصايا بالأخلاق أو بمرتكزاتها الرئيسة، أو بعض تفصيلاتها الكثيرة ففي وصايا بتاح حوتب –أحد حكماء الحضارة المصرية القديمة– نجده يحذر من مخالطة النساء والاختلاء بهن[١]، ومن قوله: ينساق الفتى إلى الإثم والنهى ينهاه ألا تفعل الإثم، فالإثم عار واربأ بنفسك عن تأنيب الضمير كل نهار[٢].

اعتقد المصريون القدامى: أن حظ الميت متوقف على طريقة سلوكه خلال حياته، وعلى كل فرد أن يثبت أمام الاثنين والأربعين قاضيا للموتى أنه لم يرتكب إثما قط، وهذه الجرائم تتمثل في القتل والتحريض عليه والسرقة والغش والتزوير والفسق والزنا، وعلى الإنسان ألا يكذب وألا يغتاب، وألا يتحسس من وراء الباب، وألا يهلك نفسه فيما لا يجدي من أسى، وألا يعوق الماء الجاري أثناء الفيضان، وألا يعتدي على حيوانات أو أسماك أو طيور الآلهة، وألا يسرق الأطعمة من المعابد أو المقابر[٣].

وفي أديان الهند القديمة نجد أن عقيدة بوذا تتمحور حول المبادئ الأخلاقية، وإصلاح النفس، وتربية الخلق بالتهذيب والعمل[٤].

---

(١) الأسرة في المجتمع المصري القديم، دعبد العزيز صالح، ط ١٩٦١، دار القلم،القاهرة، ص١٠

(٢)الشرق الأدنى القديم مصر القديمة، د عبد العزيز صالح، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٤٧٨

(٣) فجر الضمير، جيمس هنري بريستيد، فجر الضمير، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٠

(٤) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، أسعد السحمراني (١٩٨٨). ط١. بيروت، دار النفائس، ص ٥٩.

وعند الفرس: نجد زرادشت يوجه الإنسان أن يعبد خالقه ويطيعه، لأنه منبع الخير، وعليه ألا يفكر في الشر أبداً.[١]يقول صاحب قصة الحضارة: (صور الزرادشتيون العالم في صورة ميدان يصطرع فيه الخير والشر، أيقظوا بعملهم هذا في خيال الشعب حافزا قويا مبعثه قوة خارجة عن القوى البشرية، يحض على الأخلاق الفاضلة ويصونها)[٢].

وفي أديان الصين القديمة: يقول كونفوشيوس: أحب لغيرك ما تحبه لنفسك[٣] وتسير الزرادشتية على نسق توطين الأخلاق،

ولها ست وصايا تقوم عليها وهي:

١ ـ طهارة الفكر والكلمة والعمل.

٢ ـ النظافة والابتعاد عن النجاسات.

٣ ـ ممارسة الرحمة والإحسانات المختلفة.

٤ ـ الرفق بالحيوانات النافعة والأليفة.

٥ ـ القيام بالأفعال الخيّرة والنافعة.

٦ ـ نشر التعليم بين الناس من دون تمييز[٤]

ولم يكن للعرب القدماء عناية ملحوظة بمخرجات الحضارة، بل ظل العرب أمة أمية تحتاج لغيرها من الأمم في الكثير من مظاهر المدنية، بل تحدث القرآن عنهم في رجوعهم لليهود وغيرهم في أخذ رأيهم في بعض كبريات الأمور، كما جاء في تفسر قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة، ١٩٣٨م، ص.١٨٦

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م (٤٣١/٢).

(٣) ٢٠٢٣/١٢/٢٤ https://٢u.pw/٥uvRV٦q

(٤) مجلة لغة العرب، العراق، ٧٥٧/٩

سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ النساء: ٥١[١] ولكن العرب رغم ما كان فيهم من صفات البداوة، وتوحشهم في العداوات، وإثارتها على صغائر الأمور، لكن كان فيهم الكرم والشجاعة والمروءة والنجدة، والوفاء والنجدة وحسن العهد، وكانوا يراعون الصدق ويتحاشون الكذب.

ولعل **من تجليات الأخلاق العربية:** ما كان في جاهليتهم، مما جاء عنه صلى الله عليه وسلم، من قوله: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه»[٢].وفي أخبار مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم: « شهدت حلفاً في الجاهلية في دار ابن جدعان لو دعيت إليه اليوم لأجبت، رد الفضول إلى أهلها، وألا يقر ظالم مظلوما [٣]. ولقد تأثر بأخلاقهم بعض جيرانهم من اليهود، فظهر في اليهود من ضرب به العرب المثل، فقيل أوفى من السموأل[٤].

---

[١] جامع البيان (٤٦٦/٨).
[٢]مسند أحمد (١٩٠/١).
[٣]أخبار مكة، للفاكهي (٢٧٦/٣).
[٤]العقد الفريد (٩/٣).

المبحث الثالث: الأخلاق عند أرباب الديانات السماوية:

أصحاب الديانات السماوية نعني بهم اليهود والنصارى، ويُعبر عنهم في الكتاب العزيز بـ أهل الكتاب، وهم أصحاب كتب سماوية، عدو عليها بالتحريف والتبديل والتغيير كما حكى القرآن عنهم.

ورغم أن التحريف هو الأصل فيما في أيديهم من كتب، إلا أنه تحريف وليس محوا بالكلية، ففي كتبهم لا تزال بقية من آثار الرسل على قلتها، وعلى عكس ممارسات اليهود، وسيرتهم بين البشر، فإن ما بأيديهم يحث بعضه على غير هذا، ففيهم قسوة لغير اليهودي، وهو خروج عن أصل ما دعتهم إليه الشريعة، ففي سفر اللاويين: (وإذا نزل عندكم غريب في أرضكم، فلا تظلموه. كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم. وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر)[١].

وفي توارتهم أيضاً: (لا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك[٢].

ويمكننا أن نسحب ما عند اليهود للنصارى، فإن التوراة بمجملها مقدسة عندهم، ولكن في خصوص كتبهم وصية بالأخلاق، ففي رسالة يعقوب: (يُقَاوِمُ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً)[٣]

يقول صاحب كتاب الأخلاق المسيحية: الفضائل الأدبية موضوعها هو الشيء الحسن المليح. وغايتها الخير والصلاح، فالفطنة تحملنا على اتخاذ أنجع الوسائل التي توصلنا إلى غايتنا القصوى السماوية.

والعدل يدفعنا إلى تقديس حقوق الناس، والشجاعة تجعل في قلوبنا ما يلزمنا من القوة لمجابهة المصاعب والأخطار، وتسلحنا بالصبر وقت البلوى، وتدفعنا

---

(١) اللاويين ١٩/٣٣.

(٢) سفر التثنية: ٥/٢١

(٣) يعقوب: ٤: ٦

الى القيام بواجباتنا مهما صعبت، وبسائر الأفعال الحسنة مهما تنوعت والقناعة تلجم آمالنا المتطرفة عن الاسترسال في طلب الملذات، وتحفظنا في دائرة الواجب المقرر لها، فالفضائل الأدبية تزيل المصاعب من طريقنا[1].

ثمت إجماع على أن الأخلاق كانت عنصرا فاعلا في كل ديانة، ومؤثراً قوياً من مؤثرات وجود الحضارات وضمانة من ضمانات استمرارها وعدم سقوطها، وهو جزء لا يتجزأ من تعاليم الأديان.

[1] الأخلاق المسيحية، مخائيل عساف، المطبعة المخلصية، بيروت، ١٩٤٨، ص١٣.

المبحث الرابع: الأخلاق في الإسلام:

تعد الأخلاق أحد الجوانب الركينة في الإسلام، وعناية الإسلام كانت بتربية الفرد القادر على تمثل الأخلاق، ليجعل المجتمع في النهاية في مأمن من غدرات وفجرات الإنسان.

وقد أعلى الإسلام قيمة الفرد المفطور على الخلق الحسن كما في حديث أشج عبد القيس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «إن فيك خلتين يحبهما الله، الحلم والأناة» قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله(١).

وفي صفة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول رب العالمين: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ٤، وبيَّن التنزيل الحكيم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم التفوا حوله، ونشطوا لسماع الدين منه بما كان عليه صلى الله عليه وسلم الرحمة والرفق واللين الذي كان عليه صلوات الله تعالى عليه، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ ﴾ آل عمران: ١٥٩. بل إنه صلى الله عليه وسلم حصر رسالته في عملية البلاغ والتوطين للأخلاق، ففي الحديث: أن رسول الله عليه السلام، قال: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».(٢)

والأخلاق في الإسلام: علم له أصول يقوم عليها، استمدها من القرآن والسنة، فقد جاءت كثير من الآيات والأحاديث تبين الخير والشر،

---

(١) «سنن أبي داود» ٣٥٧/٤.

(٢) الجامع لابن وهب، تحقيق مصطفى أبو الخير، ط دار ابن الجوزي – الرياض، الأولى ١٤١٦هـ، ص ٥٨٤.

الحسن والقبح، وتصفها بالمعروف وأخرى بالمنكر والنفع والضر[١].

وللأخلاق غايات في الإسلام فكل سلوك إنساني يحقق الخير والبر للذات الفاعلة أو لغيرها يعد أخلاقا، طالما كانت الذات الفاعلة تريد بسلوكها هذا عمل الخير لوجه الله قبل كل شيء، ومصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له»[٢].

تقف بعض الفهوم في تصور الأخلاق عند حد المعاملة الحسنة، وهذا فهم يقصر الأخلاق على جانب منها مهم، لكن الأخلاق تمتد فتشمل العمل الصالح الذي يقول العلماء إنه على قسمين: (عمل أخلاقي وعمل ناجح. واجتماع الصفتين أمر ضروري في التربية الإسلامية؛ لأن العمل إذا كان أخلاقياً، ولكن غير ناجح لا يجلب منفعة ولا يدفع ضرراً، وإذا كان ناجحاً ولكن غير أخلاقي، فإنه لا يجلب سعادة ولا أمنا[٣].

ونلاحظ أن الإسلام جعل قيمة العمل ترتبط ارتباطا تاما بالأخلاق، وإذا عرى العمل عن الخلق صار عملا ضارا غير معتبر.

واعتبرت التربية الإسلامية المعنية بتنشئة الفرد مقصد النفعية في العمل، والمقصود بالنفعية: (التي لا تقتصر على فرد أو جماعة، وتلحق الضرر بآخرين، أو تقتصر على مرحلة الحياة، بل هي تشمل مرحلتي الحياة والمصير، ومن ثم يجلب العمل الصالح الأخلاقي النفع في صور: (الأمن، والتمكين في الأرض، والحياة الطيبة، ووفرة الخير والبركة، والدرجات العالية، والجزاء الحسن، والتمتع بنعم الله، والصحة النفسية والجسدية، والاطمئنان الاجتماعي، واليقين،

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن-٢٠٠٣م، ص٤٧

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩)

(٣) أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني (ص: ٤٨).

ودخول الجنة، وغير ذلك)[1].

وبهذا يتحول الفعل الأخلاقي في الإسلام من مجرد معاملة إلى مغالبة وبحث، ومن مجرد سكون في الفرد إلى حركة دائبة، ومن مجرد فكرة إلى حياة شاملة قابلة للتحقق

وبهذا تبرز قيمة الأخلاق في الإسلام من نطاق الحصر على عدة معاملات إلى تحويل الحياة كلها لفعل خلقي، يقصد فيه صاحبه النفع الخالي من الضرر، ويقصد فيه السعادة الخالية من إشقاء الأخرين وإدخال الضيق عليهم.

ونلحظ في هذا الشمول أن الأخلاق عمل وقيمة مشتركة في بعض جوانبها، **يحسن أن نعرض لبعض نماذجها، وهو المبحث التالي:**

[1] أهداف التربية الإسلامية (ص: ٥٠)

المبحث الخامس: استلهام الحضارة الإسلامية
لهدايات القرآن في تناول الآخر مجادلة ومعاملة

الحجاج والنقاش والمناظرة توجد في كل ديانة، ذلك أنه ما من ديانة إلا وتشتمل على ما يكون مثار جدل ونقاش، كالغيبيات التي ترسّخ لها الديانات؛ أمور الآخرة وبعض أمور العقيدة كالملائكة، وقد يكون الجدال حول تحريم عادات قائمة سائرة تنال منها الديانة الجديدة، تحريم أطعمة، إباحة أخرى، تقيد مباحات وإطلاق غيرها، وعيب الفواحش، وتحريم فعلها

فسيدنا لوط عليه السلام ينكر على قومه الفاحشة قائلا: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ٨٠، وسيدنا شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ٥٦، وسيدنا نوح عليه السلام يقول له قومه: ﴿ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ هود: ٣٢،

والكتاب العزيز يذكر أن الجدال عند منكري الحق شأن موصول، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الكهف: ٥٦

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ غافر: ٤.

هذا وغيره يتطلب ممن يواجهون بهذا جدالاً منهم وخصومة، وقديماً جاء أحد كفار مكة بعظام بالية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وفتها وأنكر البعث قائلاً:

﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ يس: ٧٨. قال البغوي: نزلت في أبي بن خلف خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده، فقال:

أترى يحيي الله هذا بعد ما رمَّ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«نعم ويبعثك ويدخلك النار»[١].

فحتمية الحجاج والجدال والخصومة لازمت الرسالات السماوية، وحدثنا القرآن عما حدث بين الخليل عليه السلام وقومه، وبينه عليه السلام وبين النمرود، وبين الكليم عليه السلام وفرعون، وبين مؤمن آل ياسين ومن خاصمهم لأجل الرسل، وكذا مؤمن آل فرعون.

لكن الرسل كانوا في بلاغهم وحجتهم أنصع بيانا، وأقوى حجة.

حاول فرعون –لعنه الله – أن يصرف الكليم عن أصل ما جاء به إلا أنه كان في كل مرة لا يعرف كيف يتصرف أمام حجته، كما في سورة الشعراء.

وزعم النمرود أمام الخليل عليه السلام أنه يحيي ويميت لمجرد امتلاكه ناصية الملك الذي به أمسك بالناس، فتركه الخليل عليه السلام لأوهامه في قناعاته، وبنى عليها ما هدمها، فقال له: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ البقرة: ٢٥٨.

قال الغزالي: (لم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ النحل: ١٢٥، والصحابة رضي الله عنهم أيضاً كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون، ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم، وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي بن أبي علي طالب رضي الله[٢].وقد جاءت الشريعة بضوابط للجدل، تعزز القواسم المشتركة، وتبني جسور التواصل، ولا تنال من الخصوم في الجدال، وقد نهت ابتداء عن الجدال بالباطل فقال سبحانه: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥][٣]، وعابت على أهل الجدال بالباطل قال تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ غافر: ٥، ونهت عن الجدال بغير علم:﴿ وَلَا تَقۡفُ

---

(١) تفسير البغوي ٤/٢٣.

(٢) قواعد العقائد، للغزالي (ص: ٩٥)

(٣) المستصفى، للغزالي (ص: ٣٧٢)

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾ الإسراء: ٣٦] وجعلت الجدال بالقول على الله بلا برهان من كبائر الذنوب: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف 33: (١).

لقد جعل الإسلام الجدال بالتي هي أحسن أمراً ربانياً، ذاك أن الحق الذي يحمل في طياته النصح ثقيل على بعض النفوس، وهي تشعر أن التنازل عن الرأي نوع من هدر الكرامة، وسقوط الهيبة، ولذا معظم من يرفض النصح والحق هم ممن اشتعلت نفوسهم بتوهم العظمة.

ونلاحظ أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المحيطين به من أهل الجدل اتسمت دائما باللين والجدل الخالي من مظاهر التعالي أو هدر قيمة الآخر أو تنقيصه.

ولذا كان الجدال في العصر النبوي، وما تلاه في العصر الراشدي على قلته، يحرص على بناء الجسور، وإقامة الصلات، والاعتبار بمكانة الخصم وعدم النيل منها قط، بل النقاش حول القضية، أو المسألة لا يتعداه لشخص القائل قط. ولقد انتقل بناء القواسم المشتركة من خلال هدايات القرآن من الجدل والمناظرة كنموذج فكري وثقافي إلى البنيان المجتمعي والطبقات المجتمعية المختلفة،

وهو ما أعرض له في المطلب التالي:

(١) السابق نفس الموضع.

المبحث السادس: استلهام الحضارة الإسلامية لهدايات القرآن في بناء القواسم الاجتماعية المشتركة:

تعد الشرائح المجتمعية هي الركيزة الأساس في قيام الحضارة، وحيثما كان التوافق والالتقاء على قواسم مشتركة دام أمن المجتمع وبنى ريادة رائدة، فإذا حلّ بالمجتمع التدابر والعنصرية التي تقوم على أسس اللون أو الجنس أو العرق أو السلطة أذنت بالانمحاء في تتبع الهدايات القرآنية للتمايز نجد أنها جعلت التقوى هي الأساس بين الناس، وهذا التمايز ميزة لصاحبها أمام الله وحده، فليس من حق التقاة العابدين أن يأخذوا ما يشتهون من أموال الناس بحجة ما هم عليه من التقوى والصلاح، أو تذلل لهم الصعاب من أجل ذلك، فالتقوي في النهاية أمر باطن لا اطلاع لأحد عليه، ومن سأل عن المنزلة فالمعتبر هوما كان عند الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣.

ثم إن الجزاء على الأعمال لا مزية للنوع فيه قط، بل الذكر والأنثى سواء.، قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْأُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وفي تطبيق الهدايات القرآنية نجد أن ذلك لم يكن تنظيراً لم يجد تطبيقاً في حياة المسلمين، بل لقد لقي نافع بن عبد الحارث، عمر بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»[1].

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم (٨١٧).

وهكذا استلهمت الأمة في عصرها الراشدي هدايات القرآن بأن جعلت الفضل لذوي الدين وألغت في مقابل ذلك أي اعتبار آخر كانت عليه الأعراف السائرة قبل نزول القرآن، وما كان بقدرتها أن تفعل ذلك لولا القرآن وهداياته التي غيرت النفوس وأعادت تأهيلها، فتقبلت بقبول حسن تقدم المولى على غيره من ذوي الأحساب.

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبوبكر، وعمر، وأبو سلمة، وزيد، وعامر بن ربيعة».[1] بل إن عمر رضي الله قال لما طُعن وتيقن موته: لوكان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول:
«إن سالماً شديد الحب لله»[2].

وجماع ما سبق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب...الحديث»[3].

وبهذا أعاد الإسلام التوازن المجتمعي، وجعل التقوى والعمل الصالح هو الأساس الذي تقوم عليه المكارم، وهذا التوازن أقامه على مستوى النظام السياسي، والاجتماعي.

وحين فتح المسلمون البلاد من حولهم سعوا لدمج العناصر المجتمعية في بنية المجتمع، فلم يكن الميزان الذي وضعه الإسلام في التنظيم الاجتماعي إلا شاملا، فنظم الإسلام حياة غير المسلمين في ظلال المجتمع، وألزم الوفاء بالعهود معهم، وحرم ظلمهم أو التعدي عليهم، وهذا ما نلاحظه جلياً في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب استقضاء الموالي واستعمالهم، برقم (٧١٧٥).
(٢) تاريخ الرسل والملوك (٢/٥٨٠).
(٣) أخرجه أبوداود، أبواب النوم، باب في التفاخر بالأحساب، برقم (٥١١٦) وحسنه الألباني.

الأيام الأولى للهجرة النبوية، إذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يضع تنظيماً للمكونات الموجودة في المدينة تضمن التعايش بلا أي اعتداء وتضمن التوافق في حدود متطلبات المجتمع واستقراره، فيضع وثيقة تنظم شأن اليهود في المدينة لا تتضمن مطلقا إجبارا على الخروج مما هم عليه بل جاء فيها : (إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته)(١)

وجاءت هدايات القرآن تؤكد للمهتدين بها قيمة الوفاء وضرورته وفي التنزيل الحكيم: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ النحل: ٩١،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾ المائدة: ٨

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»(٢)

وقد أمر أبو عبيدة حبيب بن مسلمة أن يرد على أهل حمص ما صالحهم عليه من الأموال التي أخذها، بعدما تبدل وضع جيشه ولم يستطع تقديم الحماية لهم، وقال له: قل لهم: نحن على ما كان بيننا وبينكم من الصلح، لا نرجع عنه إلا أن ترجعوا، وإنما رددنا عليكم أموالكم كراهية أن نأخذها ولا نمنع بلادكم... ورد حبيب بن مسلمة إلى أهل البلد ما كان أخذ منهم، وأخبرهم بما قال أبو عبيدة، فقالوا: ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من

(١) سيرة ابن هشام (٣/٣٤)

(٢) أخرجه أبوداود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣٠٥٢)، وصححه الألباني.

الروم، لكنهم والله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا[١].

وبهذا عزز قيمة الوفاء كقاسم أخلاقي مهم ومشترك، مما جعل الناس يستقبلونهم بعد ذلك بانشراح أعظم مما يستقبلون به أهل دينهم.

وفي سبيل تطبيق الهدايات القرآنية عملياً نجد أثر ذلك فيما يأتي:

فما إن فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر ودخلها حتى شرع في تطمين خواطر أهلها واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم، وقد (استدعى "بنيامين" البطريرك، الذي اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أمانا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، فلا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى [٢]، وهكذا كان الإنصاف الذي هو القاسم المشترك بين البشر هو ما أقامه المسلمون في الرعايا الذي فتحوا بلادهم.

وفي أقصى الغرب حيث حطت رحال المسلمين في الأندلس يقول د- محمد عبد الله عنان نقلا عن (Lane – Poole): (ما كان المسلمون كالبرابرة من القوط أو الوندال، يتركون وراءهم الخراب والموت-حاشا- فإن الأندلس لم تشهد قط أعدل وأصلح من حكمهم)[٣].

لقد اعتبر بعض المخالفين أن الإنصاف بين الناس كقاسم مشترك التي وضعها ولاة المسلمين دليلا على سوء طويتهم!!، يقول يولوج الراهب القرطبي: (كان من مكر العرب أن تظاهروا بأنهم لا يهتمون بدخول الناس في الإسلام،

---

[١] الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء (٢٥٣/٢)

[٢] تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة رفيلة، مطبعة متروبول، ٢٠٠٠، ط٢ ص٥٥

[٣] عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٦٤/١ نقلا عن Lane - Poole: The Moors in Spain, Ch. I.

فتطلعت نفوس الناس إلى ذلك الإسلام، وودوا لو يتعرفون عليه لعلهم يعرفون السبب في اختصاص العرب أنفسهم به، وضنهم به على غيرهم، فما زالوا يفعلون ذلك، ويسألون عن الإسلام، ويستفسرون حتى وجدوا أنفسهم مسلمين دون أن يدروا.

ونفس الكلام قاله الراهب القبطي يوحنا النيقوسي، حيث تأسف أن العرب لم يلجأوا للقوة في فرض الإسلام، إذ لو فعلوا لزاد تمسك الأقباط بعقيدتهم على مذهب العناد وإباء كل ما يفرض بالقوة، ولما وجد الإسلام هذا الطريق السهل الميسر في مصر والأندلس[١]

وهكذا سلك المسلمون الطريق الأوفق في عملية التعاطي مع المكونات القديمة للمجتمع، وترك الناس وما يدينون، بل إن ولاة المسلمين استعانوا بعدد هائل من غير المسلمين لزمن طويل في كتابة الدواوين، وتصريف الممالك، حتى صار غير العرب أحرص الناس على الإسلام لما دخلوا فيه عن حب واقتناع.

أما على مستوى التشريع، وبناء جسور التلاقي، فقد حرمت الشريعة أن يخطب المرء على خطبة أخيه .وقال جمهور العلماء: (لا فرق في ذلك بين المسلم والذمي وذكر الأخ خرج للغالب)[٢]،

وكذا البيع على بيعه والسوم على سومه، وحرمت غشه والتعدي عليه.

---

(١) الإسلام الفاتح، حسين مؤنس: ١٦/١٥

(٢)فتح الباري (٣٥٣/٤)

المبحث السابع: الأخلاق المشتركة التي عززها الإسلام:

عزز الإسلام حين أذن الله ببعثة نبيه صلى الله عليه وسلم القيم الفاضلة الموجودة بين الأمم، واعتبر بها وأثاب عليها،

من تلك القيم والأخلاق المشتركة:

–قيمة العدل:

وهي من القيم العظيمة التي تعرف قدرها كل أمة، ويعرف قدرها الناس أجمعون، فهي من القيم التي يجمع على ضرورتها البشر لا يشذ عن ذلك أحدهم، وهي من الإجماعات التي لا يوجد لها شواذ، فقد يوجد المجمع الذي له من يخالف فيه حتى إنه ليقال: لكل قاعدة شواذ، لكن قيمة العدل ليس لها هذا قط، فالكل مجمع على محبتها وعلى طلبها وضرورتها وسعيه خلفها.

إن الإنسان قد يتحمل باقتدار مرارة الجوع والحرمان، ما دام يرى أن الجميع حوله سواء يشتركون فيما ألمَّ به، لا تمايز ولا تخالف فالكل مكلوم تحت ذات الأمر، وإنما تفور النفوس إذا حرمت وتلذذ من حولها بحقها، وإذا كُلِمت وتنعَّم من حولها بما استولى عليه من حقها.

ونجد القرآن الكريم يولي عناية كبيرة لقيمة العدل، ويوجه المؤمنين به أنه مهما كانت الخصومة الحاصلة ومهما كان حجم الضرر المترتب ومهما كان انتفاع الخصوم بإقامة العدل، فإن النظر فيه لا يكون لما ينتفع به الخصم جراء العدل فيه، بل النظر هو لوجود العدل وتحقيقه في حد ذاته

وحين صدَّ أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحبه عن الحرم، الذي لا يصد عنه قاصد، وأوجد ذلك في الصدور وحشة، لأن الصد على طول التاريخ لم يقع إلا لهم، قال الله تعالى للمؤمنين: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ المائدة: ٢، بل الأمر بالعدل والنصفة أمر إلهي عام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ النحل: ٩٠، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ النساء: ٥٨

وقال تعالى لنبيه داود: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ ص: ٢٦.

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: صف لي العدل يا ابن كعب قلت: بخ بخ سألت عن أمر عظيم كن لصغير الناس أبا، ولكبيرهم ابنا، وللمثل منهم أخا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين[1]

لقد استلهمت الحضارة الإسلامية من هدايات القرآن قيمة العدل، وكانت لها تجليات شتى في تضاعيف الحضارة نذكر منها:

[1] الآداب الشرعية (١/١٨٠)

المبحث الثامن: القضاء والتقاضي كأحد معززات الأخلاق المشتركة في الإسلام

استلهمت الحضارة هدايات القرآن في التقاضي، وعززت مكانته وضمنت لتحقيق العدالة وحسن سير التقاضي عدة أمور منها:

١- استقلال القضاء:

في سبيل استلهام الهدايات القرآنية لتحقيق العدالة – ضمنت الحضارة للقضاة الاستقلال عن السلطة، حتى يتسنى للقاضي حسن النظر، فحيث كبّل القاضي بسلطة أو نظام، أو تدخل أحد في توجيه أحكامه سقط العدل ضرورة. وتدل هذه الواقعة على هذا المأخذ، قَالَ عُمَر بْن هياج: أتت شريكاً امرأة من ولد جرير بْن عَبْد اللهِ، وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، أنا امرأة من ولد جرير، ورددت الكلام فقال: إيها عنك الآن، من ظلمك ? قالت: الأمير موسى بْن عيسى، كان لي بستان على شاطئ الفرات، ورثته عَن آبائي وفيه نخل، فقسمته بيني وبين إخوتي، وبنيت حائطاً، وجعلت فِيْهِ فارساً يحفظ النخل، فاشترى الأمير من إخوتي حقوقهم، وسامني أن أبيع، فأبيت. فلما كان في هذه الليلة، بعث بخمسمائة فاعل، فقلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من محلتي شيئاً، فختم (القاضي) طينة، ثم قَالَ لها: امضي إِلَى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطين، فأخذها الحاجب ودخل على موسى، فأعلمه، فبعث بصاحب الشرطة إليه وقال: يا سبحان الله، امرأة ادعت دعوى لم تصح، أعديتها علي! فقال له صاحب الشرطة: أعفني، فأبى، فخرج، وأمر غلامه أن يتقدم إِلَى الحبس بفراش وغيره، فأدى الرسالة إِلَى شريك، فَقَالَ: خذوا بيده فَقَالَ: قد تقدمت بما أحتاج إليه، وعلمت أنك ستفعل، وبلغ الخبر موسى، فوجه بحاجبه فقال: هَذَا من ذاك، ما على الرسول، فألحقه بصاحبه، فبعث إِلَى إسحاق بْن الصباح، وجماعة من الوجوه، فَقَالَ: امضوا إليه؛ فقد استخف بي، فمضى وهو جالس في مسجده بعد

العصر، فلما أدوا الرسالة قَالَ: ما لي لا أراكم جئتم في غبرة من الناس؟ من ههنا من فتيان الحي يأخذ كل رجل بيد رجل إِلَى الحبس ؟ قالوا: أنت جاد؟! قال: حقاً، حتى لا يمشوا برسالة ظالم، فركب موسى إِلَى الحبس ليلاً فأخرجهم، فبلغ شريكاً، فختم القمطر وتوجه إِلَى بغداد، فركب موسى في موكبه فلحقه بقنطرة الكوفة، فجعل يناشده الله، ويقول: تسببت، وانظر إخوانك تحبسهم ! قال: نعم ؛لأنهم مشوا لك في أمر لم يجب أن يمشوا فِيْهِ، ولست براجع أو يُردّوا إِلَى الحبس جميعاً، وإلا مضيت إِلَى أمير المؤمنين فاستعفيته، فأمر بردهم إِلَى الحبس، وجاء السجّان فأخبره، ثم أمر أعوانه أن يردّوا موسى إِلَى مجلس الحكم، وجلس له وللجريرية، ثم أخرج أولئك من الحبس، وحكم عليه برد حائطها، ثم قام فأجلسه إِلَى جنبه، وقال: السلام عليك أيها الأمير[١].، فاستوفى منه، ثم أعطاه من الحق ما يستحق.

٢-**عدم التفريق بين المتخاصمين على أساس العرق أو الدين أو الوظيفة،** فحين وجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه درعه مع اليهودي، وخاصمه للقاضي، حكم القاضي على أمير المؤمنين ؛لأنه لم يأت بالبينة، وعجب اليهود من مثول الخليفة بين يدي القاضي، وقضاء القاضي عليه[٢].

٣-**عدم الجور عند التمكن مهما كان قبح الخصوم وسوء سلوكهم،** فقد أفاء الله عز وجل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم، فبعث عبد الله بن رواحة، فخرصها[٣] عليهم، ثم قال لهم: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إلي، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن

---

(١) أخبار القضاة (١٧٠/٣)

(٢) أخبار القضاة (٢٠٠/٢)

(٣) هو تقديرها وتقسيمها أقساما، ولا يكون إلا عند نضجها ودخول أوان صلاح أكلها.

أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، قد أخذنا، فاخرجوا عنا[١]. ورغم الصراع المرير الذي خاضه اليهود في مجابهة الدعوة واستحلالهم كل نقيصة في النيل من الدعوة ورسولها المعصوم، إلا أن العدل الذي استلمهم رسل رسول الله من هدايات القرآن كان حائلاً وسداً منيعاً حال بينه وبين ظلمهم

٤-عاشت الأمة وهي تستلهم قيمة العدل من الكتاب العزيز:

على أن الحقوق لها أصحاب هم فقط من يتنازلون عنها أو يصفحون، وليس لأي سلطة محو الظلامة أو الاستثناء في تطبيق العقوبة، فقد أوصى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن يغسله محمد بن سيرين. فقيل له في ذلك –وكان محبوساً – فقال: أنا محبوس قالوا: قد استأذنا الأمير، فأذن لك. قال: إن الأمير لم يحبسني، إنما حبسني الذي له الحق، فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله[٢]، لقد كان الباب مهيأ لابن سيرين أن يخرج من محبسه، لكنه رفض أن يخرج احتراما لصاحب الحق ورعاية له، حتى لا يشعر إذا رآه غير محبوس بغبن وظلم أن من جنى جناية خرج منها دون أن يستوفي منه.

---

[١] مسند أحمد (٣/٣٦٧)

[٢] حلية الأولياء (٢/٢٦٧)

المبحث التاسع: استلهام الهدايات القرآنية في معاملة الآخرين على الأساس المشترك

لقد مرّ في السابق أن قيمة العدل قيمة سامية، وضرورة وفطرة؛ فكيف يقع الظلم والتظالم بين الناس؟

ويمكن القول: إن التجافي عن العدل، وممارسة الظلم ينبع من سوء تفسير العدل، ودخول الهوى في بيان وجهه، وميل النفوس لمخالفة ما جبلت عليه من الفطر القويمة. وحين يساء تفسير العدل، ويأتي على غير جهته يقع الظلم ويتطاير شرره بين الخلق،

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم القادة وصية تعلي من قيمة العدل، فإن الله تعالى هو الحكم العدل، ولا يرضى من عباده مهما كان إيمانهم أن يجاوزوه، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذا أوصى بعض قادته قائلا: (...إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[1]، لقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل القادة المقَاتلين حال الصلح على حكمه لا حكم الله، فإن حكم الله هو العدل المطلق الذي لا خلل فيه البتة، ولا ظلم فيه قيد أنملة...

ولذا كانت الهدايات القرآنية تدور في إطار العدل الإلهي المطلق، ولولا خطورة الأمر، وخطورة تجاوز ما يرضاه الله من العدل ما أوصاه بأن ينزله على حكم نفسه واجتهاده في درك الحق، ولا يجزم للخصم بأن هذا حكم الله، وفي ثنايا ذات الحديث : (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله) ونلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر القائد ألا ينزل

[1] صحيح مسلم (١٣٥٧/٣)

الناس على حكم الله، ولما كان البشر لا يدرك حكم الله على وجه القطع أمره أن ينزله على حكمه هو، فإن حكم الله عدل بيقين، وحكم الحاكم لا قطع فيه حيث إنه غير معصوم. وقد تتجاوز بعض النفوس في تحقيق العدل بتأويل النصوص، فحين أشار النبي صلى الله عليه وسلم أن عمارا تقتله الفئة الباغية[١]، وكاد جيش الشام أن يتفرق عن معاوية رضي الله عنه وصحبه حتى قال معاوية: إنما قتله من أخرجه[٢]. وبهذا المنهج في تأويل النصوص يتم تجاوز العدل.

ومنذ عقود كان المحتل يعتبر من يقاومه في ديار الإسلام في الشمال الإفريقي ومصر وبلاد الشام وغيرها خارجاً عن السياق، وواقعاً في الجريمة، وبهذا ينقلب الظلم عدلا وتصير مقاومته حيفاً ومروقاً.

---

[١] متفق عليه بنحوه

[٢] البداية والنهاية ٢٦٨/٧ ومما يذكر في هذا المساق، أن عليا رضي الله عنه رد على تأويل معاوية بالقول، (فالذي قتل حمزة من أخرجه) ومعروف أن الحمزة رضي الله عنه خرج مع رسول الله في يوم أحد الذي استشهد فيه، رضي الله عن الصحب الكرام كلهم؛ علي ومعاوية.وكما قال ابن أبي حاتم وأبي زرعة في سياق مذهب أهل السنة، وفيه: (الترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩٨/١)

المبحث العاشر: استلهام الأمة لهدايات القرآن في صناعة التأليف والكتابة لتعزيز القواسم المشتركة

الحديث عن التأليف كأحد السبل التي سلكتها الأمة في تعزيز القواسم المشتركة بين الأمم وجهه أن التأليف لم يقتصر على معارف الوحي فقط، بل تطرق أيضا للوقوف على ما للأمم الأخرى من ديانات وعقائد، وبعض ما ألفه المسلمون في مجال الأديان صار العمدة في بابه لما اندثر من هذه الأديان

نذكر هنا على سبيل المثال كتاب النوبختي(٣١٠هـ): «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»، حيث يقول في مستهل كتابه: (فعلته غير باهت على الخصم ولا متحرّج عن حكاية كلامه وإن باين الحقّ واستفظع سماعه عند أهله فهو اعتقاده وهو أبصر به. وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتّى استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحقّ، وإنّما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيّين من مثله لتعريف المقاربة بينهم)[١]

ويصف صاحب قصة الحضارة منهج البيروني(٤٤٠ هـ) بقوله: (كان أول مؤلفاته الكبرى رسالة علمية فنية عميقة تعرف باسم الآثار الباقية في التقاويم والأعياد عند الفرس، وأهل الشام، واليونان، واليهود، والمسيحيين، الصابئين، والزرادشتيين، والعرب، والكتاب دراسة نزيهة إلى درجة غير مألوفة، مبرأة إلى أقصى حد من الأحقاد الدينية)[٢]

فعملية التجرد في المقاربات التي صنعها العلماء المسلمون لم يألفها الناس قبل ذلك، أن يضع أحد المخالفين دراسة وصفية متجردة لديانة كاملة دون أن يتدخل بمناقشة لم حوته من مخالفات، أو يتقول عليهم ما ليس في دينهم، ويلاحظ أيضاً أن (علماء الإسلام في ذلك العهد وضعوا موسوعات

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص: ١٥)

(٢) قصة الحضارة (١٨٤/١٣)

ومختصرات، وكتب جمعت كثيرا من أشتات الآداب والعلوم لولاها لخسرها العالم،.. وحسبنا أن نعترف بفضلهم ونمجد أعمالهم)[١]

وهكذا عزز المسلمون جسور التواصل بين الأمم، وحملوا ما للأمم من ثقافات ومعارف دون أن يدلسوا فيما وقفوا عليه، أو ينسبوا لأنفسهم علوم الآخرين، بل بدؤوا من حيث انتهى أسلافهم في أبواب العلم، ناسبين كل ما لغيرهم، ومكملين متممين له .

يقول العامري(٣٨١هـ) في وصف ما كان عليه أهل الإسلام تجاه علوم ومعارف الآخر:

(وجدنا الألباء من أهل الإسلام قد سعدوا لنقل الكتب المنسوبة إلى ذوي الشهرة المنسوبة إلى ذوي الشهرة من حكماء الروم، وحكماء الفرس، وحكماء الهند، وحكماء يونان، واستقصوا تأمل معانيها، وحلوا مواقع الشبهة منها،وتولوا شرحها وإذاعتها، وتأدبوا في أبوابها بكمال تأديب الله تعالى)[٢]

وفي سبيل استلهام الحضارة للصالح مما عند الآخر لم يستنكف المسلمون أن يستكتبوا من به القدرة على الترجمة فيما يحتاجون إليه من علوم فاستكتبوا عددا هائلا من المترجمين، وبجهدهم نجت كتب من الضياع، ولا تزال هذه الكتب لا يعرف لها غير الأصل العربي المترجم، حيث أصولها اللاتينية أو اليونانية اندثرت،

يقول ول ديورانت: (ترجم حنين بن إسحاق إلى اللغة السريانية مائة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العلمية، وإلى اللغة العربية تسعاً وثلاثين رسالة أخرى. وبفضل ترجمته هذه نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء)[٣]

إن قصة التأليف وابتكار العلوم في الحضارة الإسلامية لمما تسير به الركبان،

---

(١) قصة الحضارة (١٣/١٧١- ١٧٢)

(٢) الإعلام بمناقب الإسلام، للعامري، دار الأصالة، الرياض، ١٩٨٨، ص١٨٢

(٣) قصة الحضارة (١٣/١٧٨)

وحديث التأليف والكتب وافتراع أصول العلوم أمره عجيب في هذه الأمة التي استلهمت كتبها من كتابها أعظم الاستلهام وأفضل النهل، ومؤلفات المسلمين شاهد حي على استلهام هذه الأمة لقيمة الكتاب مما حملته من إعظامها لكتاب الله المجيد .

لاتوجد أمة أنتجت تأليفاً في كل علم بهذه الغزارة كما أنتجت حضارة المسلمين، ولا توجد مكتبة حول الكون تزهو بغزارة محتوياتها إلا إذا ضمت عدداً هائلاً مما سُرب من مخطوطات المسلمين لها شراء أو استيلاء.

وحين نتكلم عن استلهام الحضارة للتأليف فلسنا نقف عند حد علوم معارف الوحي، والعلوم الخادمة للشريعة، بل حديثنا عما ألف في الطب والهندسة والجغرافيا وعلوم الحيوان وسائر العلوم المدنية، حيث استلهم المسلمون الأمر الإلهي بالنظر في الآفاق، وفي الأنفس للوصول إلى حقائق الكون التي وجه لها الوحي.

وهكذا صنعت الأمة الحضارة من خلال كتابها الذي استلهمته في رعاية جانب التأليف وأخلاقياته حيث عبروا عنها بجلاء بقولهم: إن من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله[1]

وفي مقابل تيارات شتى ظهرت في الأمم قبلنا، حرصت الحضارة في بناء منهجها في الحجاج والتأليف على الوصول للحق والبعد عن الأغاليط العلمية والمنهجية ومن كلامهم في هذا: «إذا أراد الله عز وجل أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط»[2]

ويشير ابن رشد(٥٨٠هـ) إلى علاقتنا بمعارف الآخرين فيقول: (يجب علينا أن ألفينا لمن تقدمنا من المقام السالفة نظراً في الموجودات واعتبار لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم:

---

[1] جامع بيان العلم وفضله (٩٢٢/٢)

[2] جامع بيان العلم وفضله (١٠٧٣/٢)

فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم)[1]

فالأخذ من الآخر ومد جسور التلاقي معه مطلوب، غير أن هذا محكوم بموافقة الحق، وانضباطه بضوابطه، وهوما رعته الحضارة في أغلب دوراتها عبر الزمن.

وأخيرا يكشف هذا النص عن إدراك المسلمين لقيمة ما عند الآخر من نافع ومفيد فـ: (لقد ترك بنو أمية المدارس الكبرى المسيحية، أو الصابئية، أو الفارسية، قائمة في الإسكندرية، وبيروت، وإنطاكية، وحران، ونصيبين لم يمسوها بأذى...)[2].

فلم يكن المسلمون إلا دعاة خير وطلاب خير في العموم الغالب لحركة الفتوح التي قاموا بها.

---

[1] فصل المقال لابن رشد (ص: ٢٨)،

[2] قصة الحضارة (١٣/١٧٧)

المبحث الحادي عشر: مبدأ الحفاظ على الهوية ودوره في الحفاظ على كمال الفكرة الإسلامية:

مصطلح الهوية مصطل له دلالة عصرية على حالة تمايز تكون في الأمم والشعوب، والهوية يمكن أن تتأسس على أساس ديني، أو قومي، أو لغوي.. إلخ . يمكن أن نعرف الهوية بأنها تمايز الشخصية المسلمة في المحيط الذي تعيش فيه بمميزات تجعلها معروفة في هذا المحيط

وبعض الناس يلجأ للملابس كأداة للتمايز، وبعضهم للأماكن التي يتردد عليها أو الطريقة التي يعيش بها، حين نتحدث عن القواسم المشتركة التي عززتها الشريعة من خلال الهدايات القرآنية، فنحن لا نتحدث عن مجتمع بلا هوية يتميز بها، وبلا خصيصة يمتاز بها، بل نتحدث عن مجتمع يعيش وسط الأخلاط بلا مشكلة في المعاملة ولا المعايشة .

فمهما قلنا في مسألة التعايش المجتمعي فتبقى الهوية الإسلامية مصونة من المساس، وتبقى ثوابت الشريعة هي الأساس، ولقد قطع الشريعة التوارث بين المتخالفين في الدين، ولم تقطع البر والصلة، ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ الممتحنة:٨.

كما أنها أجازت الزواج بغير المسلمة والعيش تحت سقف واحد، ولكن حين الوفاة تذهب الكافرة لتدفن في غير مدفن من عاشت معه مسلماً، حتى لو أنجبت منه عشرة من الأولاد أو يزيد.

ثم حرَّمت الشريعة على المسلمة أن تتزوج بكافر، بل تخرج من عصمته إذا ظل على كفره.ثم إنها حرمت الاهتداء بغير هدي القرآن فيما جاء فيه أو نبه عليه، ففي الصحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: " يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هومن عند الله

ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم[1]

وعن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني[2].

ورغم ذلك التمايز، ورفض أي اهتداء يخرج من غير مشكاة القرآن والسنة، فإن القرآن قد أكد على حقيقة التلاقي بين الأنبياء، وعزز أمرها بين المسلمين، وجعل من شرط الإيمان بالرسل من غير تفريق بينهم ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥.

وقد قال بعض الداخلين إلى الإسلام، ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، فلقد كسب الإيمان بالمصطفى، ولم يخرج المسيح من قلبه، بيد أنه وضعه في المكان الذي ارتضاه الله له، وخلقه عليه .

وبهذا أرخت الشريعة للقواسم المشتركة دون أن يعود ذلك بالإلغاء على شيء مما جاءت به أو تلتمس تكميلا له من عند غيرها.

وبهذا نصل إلى نتائج البحث، وتوصياته

[1] صحيح البخاري (١٨١/٣)

[2] مسند أحمد، برقم (١٥١٥٦) وضعفه المحقق.

نتائج البحث

١. استلهم المسلمون هدايات القرآن على مستوى التعايش بين المكونات المجتمعية في أغلب الفترات الزمنية، وعلى امتداد وصول الفاتحين.

٢. تعد الآثار الباقية للأمم دليلاً حياً على مدى الرقي الأخلاقي والحضاري لدى الفاتحين والتزامهم بتعاليم القرآن، واستهدائهم بهداياته.

٣. تعايش الإسلام مع الآخر وفق القواسم المشتركة التي عززتها الهدايات القرآنية كان هو المداد الذي أطالب عمر الحضارة الإسلامية.

٤. الحضارة الإسلامية هي مجموع من المعايشة ونظم الحكم، والتأليف والتواصل مع الآخر وفي عمومها كانوا ملتمسين هدايات القرآن.

توصيات البحث:

١. ضرورة تدريس الحضارة الإسلامية للناشئة عوضاً عن الاكتفاء بتدريس الحوادث التاريخية.

٢. ضرورة مد الجسور مع الآخر وفق هدايات القرآن وتشريعاته دون أي تنازل أو تأجيل لتعاليمها.

مصادر البحث ومراجعة

١. أخبار القضاة، لوكيع الضبي، المحقق: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة: الأولى، ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م

٢. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للفاكهي، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤

٣. الأخلاق المسيحية، مخائيل عساف، المطبعة المخلصية، بيروت، ١٩٤٨، ص١٣

٤. الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، أسعد السحمراني (١٩٨٨). ط١. بيروت، دار النفائس، ص ٥٩.

٥. الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي، الناشر: عالم الكتب

٦. الأسرة في المجتمع المصري القديم، د عبد العزيز صالح، ط ١٩٦١، دار القلم، القاهرة،

٧. الإسلام الفاتح، حسين مؤنس، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي.

٨. الإعلام بمناقب الإسلام، للعامري، دار الأصالة، الرياض، ١٩٨٨،

٩. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الحميري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

١٠. أهداف التربية الإسلامية، د ماجد عرسان الكيلاني الأردني، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولى

١١. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م، ط إحياء التراث.

١٢. تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة رفيلة، مطبعة متروبول، ٢٠٠٠، ط٢

١٣. تاريخ الأمم والملوك، للطبري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧

١٤. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ

١٥. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى
١٦. الجامع، لابن وهب، تحقيق مصطفى أبو الخير ،ط دار ابن الجوزي — الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير، محمد بن جرير بن يزيد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، للبخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١٩. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، دراسة وتحقيق: أبوعبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ هـ
٢٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
٢١. دستور الأخلاق في القرآن، لمحمد بن عبد الله دراز، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
٢٢. دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٢٣. الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
٢٤. سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت

٢٥. سنن الترمذي، تحقيق :أحمد محمد شاكر، وآخرون، ط مصطفى الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٢٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

٢٧. الشرق الأدنى القديم مصر القديمة، د عبد العزيز صالح، مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٨. صحيح ابن حبان، ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد، ترتيب الأمير ابن بلبان، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٢٩. العقد الفريد، لابن عبد ربه، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ

٣٠. علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٣١. فتح الباري، لابن حجر، راجعه : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

٣٢. فجر الضمير، جيمس هنري بريستيد، فجر الضمير، طط الهيئة المصرية العامة للكتاب،

٣٣. الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة، ١٩٣٨م، ص.١٨٦

٣٤. قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣٥. قواعد العقائد، للغزالي، المحقق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ -

٣٦. مجمع الأمثال، للميداني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار المعرفة – بيروت، لبنان

٣٧. مدارج السالكين، المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

٣٨. المستصفى، للغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م

٣٩. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤٠. مسند أحمد، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، ط عالم الكتب — بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤١. المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، د–ت.

٤٢. معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، حققه، محمد عبد الله النمر، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ

٤٣. المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار، تحقيق – د محمد مصطفى حلمي وزملائه، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، ط١٩٦٥.

٤٤. ول ديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٤٥. العهد الجديد

٤٦. مجلة لغة العرب، العراق، ٩/ ٧٥٧

٤٧. ٢٠٢٣/١٢/٢٤ https://٢u.pw/٥uvRV٦q